قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ
فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن
مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن
مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ
بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ
أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ
وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ
يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

[٤٩] وقل يانبي الله لهؤلاء المشركين: لقد جاء الإسلام والتوحيد والنور، وذهب الباطل والشرك والظلام، ولم يبق من الباطل شيء، ولم يعدْ له إقبال ولا إدبار.

[٥٠] وقل لهم يانبي الله: إن ضللتُ وابتعدتُّ عن طريق الحق والصواب؛ فإثم ذلك عائدٌ عليَّ - وحاشاه من ذلك صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وإن اهتديتُ فليس ذلك بحولي وقوتي، وإنما بفضل ما يوحَىٰ إليَّ من ربي من الحكمة والموعظة والبيان بالقرآن، إن ربي سميعٌ لجميع الأصوات، قريبٌ من عباده، مجيبٌ لمن دعاه وآمن به.

[٥١] ولو ترىٰ يانبي الله حال الكفار حين يخرجون من قبورهم فزعين، ثم يرون العذاب؛ لرأيت أمرًا عظيمًا، حيث اعتراهم الفزع والهلع مما يرون، وليس لهم مهرب ولا نجاة من عذاب الله، وقد أُخذوا إلىٰ مصيرهم ونهايتهم وهي النار والعياذ بالله.

[٥٢] وعندما رأىٰ المشركون العذاب قالوا علىٰ سبيل الندم: آمنا بالله، وصدقنا رسوله ﷺ، ولكن أنَّىٰ لهم تناول الإيمان في الآخرة؟! فمحلُّ الإيمان والتصديق هو الدنيا، لا حينَ معاينة العذاب؛ فندموا حين لا ينفع الندم ولا تنفع التوبة.

[٥٣] وهؤلاء الكفار الذين أعلنوا ندمهم وقالوا: إنهم آمنوا بالله وصدقوا الرسول ﷺ؛ فقد كذَّبوا بالإيمان وجحدوا آيات الله ورسله وهم في الدنيا، فكيف لهم الإيمان والتصديق في هذا اليوم؟، في حين أنهم كانوا يرمون محمدًا ﷺ بالظن الكاذب بسبب جهلهم وعنادهم؛ حيث كانوا يقولون: بأنه ساحر، وشاعر، وبه جنون، وأنه ليس هناك شيء اسمه بعث، أو جنة أو نار، يقولون ذلك من دون مستند ولا حجة، فإيمانهم اليوم لا فائدة منه؛ فهم مثل الذي يطلب شيئًا بعيدًا جدًّا عنه ولا يراه!.

[٥٤] وهؤلاء الكفار الذين أرادوا الإيمان بالله وتصديق رسوله ﷺ يوم القيامة؛ قد حُجِزَ وَفُصِلَ بينهم وبين ما يتمنون من قبول توبتهم، أو العفو عنهم ورجوعهم إلىٰ الدنيا ليؤمنوا، كما فُعِلَ بأمثالهم من الأمم السابقة الكافرة، لأنهم كانوا مثلهم في الدنيا في شك وريب من هذا الدين.

سورة فاطر

سورة فاطر مكيّة وآياتها خمس وأربعون آية.

[١] ابتدأت السورة بالثناء علىٰ الله الذي له الحمد كله، وهو جل وعلا حمد ذاته تعليمًا لعباده أنه هو المستحق للمحامد كلها، فالحمد المطلق والثناء التام لله خالق السماوات والأرض ومبدعهما علىٰ غير مثال سابق، وجاعل الملائكة رسلًا يرسلهم إلىٰ أنبيائه وإلىٰ من يشاء من عباده، وخالقهم علىٰ صفات مختلفة عجيبة؛ فمنهم من خلقه بجناح واحد، ومنهم من خلقه بجناحين، ومنهم من خلقه بثلاثة أجنحة، ومنهم من خلقه بأربعة أجنحة، يزيد جل وعلا في خلقه ما يشاء، إنه سبحانه علىٰ كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

[٢] واعلموا أن ما يمنحه جل وعلا لعباده من نعمه التي لا تعد ولا تحصىٰ؛ لا يقدر أحد علىٰ إمساكها ومنعها، وكذلك ما يمنعه ويحبسه سبحانه عن عباده من النعم لا يستطيع أحد جلبها وإرسالها لهم، وهو جل في علاه العزيز الذي لا يغلبه غالب، الحكيم الذي يضع الأمور في مكانها بحسب الحكمة والمصلحة التي يراها سبحانه.

[٣] ياأيها الناس تذكروا نعم الله العظيمة عليكم، بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم، واستديموا علىٰ ذكرها وحفظها بالشكر والثناء والطاعة، وأداء ما عليها من الحقوق كالزكاة وغير ذلك، واعلموا أنه لا خالق غير الله تعالىٰ يرزقكم من السماء بالمطر وغيره، ومن الأرض بالزروع والثمار وغيرها، فلا إله مستحق للعبادة والطاعة إلا الله جل في علاه؛ لأنه هو الخالق لكل شيء، وما دام الأمر كذلك فكيف تصرفون العبادة لغيره وتشركون به سبحانه؟!.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۖ ٧ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ
ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ
حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ٨ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ
إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ
يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ
١٠ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ
وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ١١

[٤] يقول جل وعلا مسلِّيًا نبيه محمدًا ﷺ: وإن كذبك المشركون من قومك يانبي الله فيما دعوتهم إليه من الحق والنور المبين؛ فلا تحزن لتكذيبهم، واصبر حتىٰ يأتي نصر الله، واقتدِ بإخوانك الأنبياء من قبلك الذين كذَّبتهم أقوامهم فصبروا حتىٰ أتاهم نصر الله، واعلم أن جميع الخلق مرجعهم إلىٰ الله وحده، وسيجازي سبحانه كلًّا بما يستحق.

[٥] يا أيها الناس اعلموا أن وعد الله بالبعث والجزاء حق ثابت؛ فلا تخدعنَّكم الحياة الدنيا بما فيها من المتع واللذائذ العاجلة فتصرفكم الشهوات عن العبادة التي خلقتم لها وكلفتم بها، ولا يخدعنكم أيها الناس عن طاعة الله وعبادته الغرور، أي: الشيطان، فيصرفكم عن طاعته، وعن كل ما هو خير وبر لكم.

[٦] واعلموا أن الشيطان لكم عدوٌّ حقيقي، بالغ العداوة ظاهرها، فكونوا علىٰ حذرٍ دائم منه، ولتكن عداوتكم له علىٰ بالكم، واعصوه، ولا تطيعوا أمره، واعلموا أن غايته ومقصوده من إغوائكم أن تكونوا معه من أصحاب النار المستعرة الموقَدة.

[٧] واعلموا أيها الناس أن الذين كفروا بالله وكذبوا رسله؛ أعدَّ الله لهم عذابًا شديدًا في الآخرة، وأمَّا الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله ﷺ، وعملوا الأعمال الصالحة؛ فأولئك سيغفر الله لهم ذنوبهم، ويكفر عنهم سيئاتهم، ولهم من الله أجرٌ كبير، وهو الخلود في جنات النعيم.

[٨] يخبر جل وعلا بالفرق الكبير بين أهل الإيمان والطاعة، وأهل الكفر والمعاصي؛ فقال سبحانه: أفمن زيَّن الشيطان له عمله السيِّئ فرآه حسنًا، أيستوي بمن يرىٰ الحق حقًّا والباطل باطلًا؟!، فلا شك أنهما لا يستويان، والله سبحانه يضل من يشاء بعدله وحكمته، ممَّن يصر علىٰ الكفر والضلال، ويهدي ويوفق من يشاء بفضله ورحمته، ممَّن اختار الهدىٰ، فإذا كان الأمر كذلك يانبي الله فامض في دعوتك وتبليغ رسالة ربك، ولا تقتل نفسك همًّا وغمًّا وحسرةً علىٰ من آثر الضلال علىٰ الهدىٰ، والشركَ علىٰ التوحيد، واعلموا أن الله عليمٌ بما يصنع هؤلاء الجاهلون، لا يخفىٰ عليه سبحانه من أمرهم شيء، وسيجازيهم علىٰ أعمالهم.

[٩] واعلموا أيها الناس بأن الله وحده هو الذي يرسل الرياح ويُجريها، فتحرِّك السحاب وتجمع بعضه إلىٰ بعض، فيُسيِّره الله إلىٰ بلدٍ ميت لا نبات فيه ولا زرع، فيأمر الله المطر أن ينزل عل ذلك البلد؛ فيحيا بالمطر، فتنبت الأرض وتخضرّ بعد يُبسها وقحطها، كذلك يحيي الله العباد بعد موتهم، ويبعثهم للجزاء والحساب؛ كما أحيا هذه الأرض بعد موتها.

[١٠] يخبر جل وعلا أن من كان يريد العزة في الدارين فعليه بطاعة الله والاعتماد عليه وحده، فإن العزة لله جميعًا، فمن اعتز بالله أعزه الله، ومن اعتز بمخلوق أذله الله وأخزاه، ثم بين سبحانه أن كل كلام طيب من ذكر ودعاءٍ وتلاوة قرآن ونحو ذلك يرفع إليه، فيقبله ويجازي أصحابه عليه جزاء حسنًا، وأن كل عمل صالح يرفعه الله إليه ويقبله منهم ويكافئهم عليه، وقد قيل إن الكلم الطيب المذكور في هذه الآية هو: الشهادتان، يرفعهما العمل الصالح ويصدقهما، يعني: أن الشهادتين لا تكفيان بدون عمل صالح إذا كان ممكنًا، وقيل: إن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، فيكون رفع الكلم الطيب بحسب أعمال العبد الصالحة؛ فإذا لم يكن له عمل صالح لم يرفع له قول إلىٰ الله تعالىٰ، ثم أخبر جل وعلا أن أولئك الذين يمكرون السيئات من المشركين والمنافقين ومن علىٰ شاكلتهم؛ لهم عذاب شديد من الله، وإن مكرهم الذي مكروه سوف يكون مصيره إلىٰ الفساد والخسران.

[١١] واعلموا أيها الناس أن الله جل وعلا هو الذي ابتدأ خلق أبيكم آدم عليه السلام من تراب، ثم جعل ذريته يتناسلون من ماء مهين، وهو الماء الذي ينزل من ذكر الرجل ويصب في رحم الأنثىٰ بعد الجماع، ثم خلق سبحانه من هذا الماء الناس جميعًا رجالًا ونساءً، واعلموا أن كل أنثىٰ لا تحمل ولا تضع حملها إلا بإذن الله وحده، وما يطول عُمر أحدٍ من الخلق فيصبح هرمًا، ولا يُنقص من عُمره فيموت وهو صغير أو شاب إلا وهو مسجَّل في اللوح المحفوظ، لا يُزاد فيما كتب الله ولا يُنقص، واعلموا أن خلقكم وعلم أحوالكم وكتابتها كل ذلك سهل يسير عليه جل في علاه.

والعمر المذكور في هذه الآية يشمل: الأجل الطبيعي، والأجل الاختراعي الذي يحصل بسبب الأوبئة والحروب، أو الذي يزاد بسبب البر وصلة الرحم، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سره أن يُبسَط له في رزقه، ويُنسأ له في أثَره؛ فليصل رحمه**»(١)، وكلا الأجلين مسجل في اللوح المحفوظ.

(١) أخرجه أبو داود (١٦٩٣).

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ
ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
﴿١٤﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ
إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ
وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

[١٢] يخبر جل وعلا أن ماء النهر وماء البحر لا يستويان؛ فماء النهر عذب مستساغ لذيذ شديد الحلاوة، وأما ماء البحر فماء مالح شديد الملوحة لا يستسيغ أحد شربه، ومع ذلك فأنتم تستخرجون من كل منهما سمكًا طريًّا شَهِيَّ الطعم، وتستخرجون منهما زينة تنتفعون بها وتلبسها نساؤكم مثل اللؤلؤ والمرجان وغيرها، وترون بأعينكم السفن وهي تشق الماء وتسير فيه بسرعة من مكان إلىٰ مكان؛ حيث سخرها سبحانه لمنفعتكم ولتطلبوا أرزاقكم، ولعلكم تشكرونه جل في علاه علىٰ هذه النعم التي أنعم بها عليكم.

وأطلق سبحانه علىٰ النهر هنا بحرًا تغليبًا، كما يقال للشمس والقمر: القمران. وقالوا: من رحمة الله وحكمته أنه جعل البحر مالحًا؛ لأنه لو كان عذبًا لآسَنَ وأنْتَنَ، وجعل النهر عذبًا؛ لأن الماء جارٍ ومتجدد فيه. هكذا اقتضت حكمة الله التي أراد منها مصالح البشر.

ويستفاد من هذه الآية: كما أن ماء البحر وماء النهر لا يستويان؛ فكذلك المؤمن والكافر والبر والفاجر لا يستويان.

[١٣] ثم أخبر جل وعلا أن من مظاهر فضله علىٰ عباده أنه خلق الليل والنهار بنظام بديع؛ وأنه يدخل الليل في النهار، ويدخل النهار في الليل، وأنه جعلهما متعاقبين، ومن مظاهر فضله: أنه ذلل الشمس والقمر فجعل كلًّا منهما يسير وفق نظام دقيق ليقضي العباد مصالحهم، ويستمر ذلك السير إلىٰ الأجل والوقت الذي حدده الله، واعلموا أن الذي فعل هذا هو الله ربكم العظيم الذي له الملك والسلطان، وأما أولئك الذين تعبدونهم من دون الله فما يملكون من قطمير، وهو الغطاء الرقيق الذي يغطي نواه التمر، ولا يستفاد منه، أي: أن عبادتهم لا تفيدهم شيئًا؛ بل تضرهم.

[١٤] واعلموا أيها الناس أن هذه الآلهة المزعومة التي تدعونها من دون الله لن تسمعكم، ولو سمعتكم - علىٰ سبيل الفرض -؛ فلن تستجيب لكم، ولن تُعطيكم سؤْلَكم بأن تنجيكم من عذاب الله؛ بل إنها يوم القيامة تتبرأ منكم ومن شرككم، واعلموا أنه لن يخبركم أحدٌ أصدقَ ولا أعلَمَ من الله الخبير الذي لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

[١٥] واعلموا أيها الناس أنكم أنتم المحتاجون إلىٰ الله في كل شئون حياتكم الدنيوية والأخروية، والله وحده هو الغني عن جميع مخلوقاته، المحمود علىٰ نعمه التي لا تحصىٰ في جميع الأوقات والأحوال؛ فله جل في علاه الحمد والشكر علىٰ كل حال.

[١٦] واعلموا أيها الناس لو أراد الله أن يذهبكم ويخلفكم بآخرين يعبدونه لا يشركون به شيئًا؛ لفعل.

[١٧] ثم بين سبحانه أن عملية تغيير الخلق ليس بممتنع عنه سبحانه؛ بل ذلك سهل يسير عليه؛ فهو علىٰ كل شيء قدير. وهذا دليل ومظهر من مظاهر غناه جل وعلا عن الناس.

[١٨] ثم أخبر جل وعلا أن كل نفس تتحمل نتائج أعمالها وحدها، وأنها لا تحملُ إثم وخطايا نفسٍ أخرىٰ، وإن تسأل نفسٌ محملةٌ بالذنوب من يحمل عنها شيئًا من الآثام والخطايا لم تجد من يستجيب لها، ولو كانت قريبة في النسب من النفس المثقلة بالذنوب، واعلم يانبي الله أن وعظك وإنذارك إنما ينفع أولئك الذين يخافون الله ويخشونه في السر والعلانية، والذين يقيمون الصلاة ويحافظون عليها في أوقاتها بأركانها وواجباتها وسننها، ولم تُشغلهم الدنيا عن إقامتها، ومن تطهَّر لله بالتوحيد وترك الذنوب والمعاصي؛ فإن نفع ذلك عائدٌ عليه، وثواب ذلك صائرٌ إليه، وإلىٰ الله وحده مرجع جميع الناس ومآلهم، فيجازي كل نفس بما كسبت، ويحاسبها علىٰ ما قدَّمت.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

[١٩] ثم ساق جل وعلا بعض الأمثلة لبيان الفرق الكبير بين المؤمن والكافر؛ فقال سبحانه: واعلموا أيها الناس أنه لا يستوي الأعمىٰ الذي لا يرىٰ الأشياء، مع البصير الذي يراها، فكذلك لا يستوىٰ المؤمن والكافر.

[٢٠] وكذلك أخبر سبحانه أنه لا يمكن المساواة بين الظلمات والنور، وهكذا لا يمكن المساواة بين الإيمان والكفر.

[٢١] وكذلك أخبر سبحانه أنه لا يستوي المكان الظليل البارد الذي لا أذىٰ فيه بالمكان الشديد الحرارة المؤذي، وهكذا لا يستوىٰ أصحاب الجنة وأصحاب النار.

[٢٢] وكما أنه لا مساواة بين هذه الأشياء التي ذكرها جل في علاه؛ فإنه لا مساواة بين الأحياء وهم المؤمنون والأموات وهم الكفار - أموات القلوب -، ثم بين سبحانه أنه قادر أن يُسمع سماعَ قبولٍ واستجابةٍ من يشاء من عباده، ويشرح صدره لذلك، أما أنت يانبي الله فإنك لا تستطيع أن تُسمع من مات قلبه سماع فهم واستجابة الذي هو أشبه بالميت في قبره.

[٢٣] ثم قال عز وجل لنبيه ﷺ: وما أنت يانبي الله إلا نذير، تنذر الناس وتبلغهم دين الله، ولم نكلفك هدايتهم؛ فإن ذلك بيد الله وحده جل في علاه.

[٢٤] وقال سبحانه وتعالىٰ لنبيه ﷺ أيضًا: إن الله بعثك يانبي الله بالتوحيد والدين الحق، تبشر من آمن بالله واتبعك، وتحذر وتنذر من كفر بالله وكذَّبك، وما من أمة من الأمم السابقة إلا أرسل الله فيها نذيرًا يأمرهم بعبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه.

[٢٥] ثم يسلي جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ فيقول له: وإن يكذبك هؤلاء المشركون يانبي الله فقد كذب الذين من قبلهم أنبياءهم ورسلَهم، بعد أن جاءوهم بالآيات الواضحات، والدلالات الظاهرات علىٰ صحة ما جاؤوا به، فبعد أن جاءتهم رسلهم بالكتب المنزلة من عند الله جل في علاه كذبوهم.

[٢٦] يخبر جل وعلا أنه أهلك الذين كذبوا رسلهم بما جاؤوهم به، فانظر يانبي الله كيف كانت عقوبة الله لهم؟!، وكيف كان تدمير الله إيّاهم؟! لقد كانت عقوبةً عظيمةً استأصلتهم عن آخرهم.

[٢٧] ثم يخبر جل وعلا عن كمال قدرته، فيقول سبحانه: لقد علمت أيها الإنسان أن الله أنزل من السماء ماء فسقىٰ به أشجارًا؛ فأخرج من تلك الأشجار ثمرات مختلفًا ألوانها، مع أنها في روضة واحدة وتسقىٰ بماء واحد، وجعل سبحانه الجبال أوتادًا للأرض، وجعلها ذات ألوان مختلفة؛ وجعل فيها معادن مختلفة مما يدل علىٰ عظيم قدرة الله سبحانه وتعالىٰ وبديع صنعه؛ فسبحان من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، الخلاق المبدع الذي أحسن كل شيء خلقه، وهذه الآية والتي بعدها تدل علىٰ قدرة الله عز وجل في خلق المتضادات المتنوعات من شيء واحد.

[٢٨] ثم بين جل وعلا أن اختلاف الألوان ليس مقصورًا علىٰ الثمار والجبال، بل أيضًا موجود في البشر، فهو سبحانه خلق آدم عليه السلام وزوجه حواء، ثم خلق منهما ومن ذريتهما الأحمر والأبيض والأصفر والأسود، وخلق الدواب والأنعام وجعلها أصنافًا وأنواعًا مختلفة في ألوانها، ومع ذلك ترىٰ أكثر الناس سادرين غافلين عما خلقوا له، وإنما يخشىٰ اللهَ منهم العلماءُ الذين عرفوا أنهم لم يخلقوا سدىٰ، وأنهم مسئولون عن تصرفاتهم، وليس المقصود علماء الشريعة فقط؛ بل كل العلماء المعتبرين والمفكرين من علماء الكون والطب وغير ذلك الذين لهم معرفة وعلم، واعلموا أن الله عزيز قوي لا يعجزه شيء، غفور لمن تاب من عباده.

[٢٩] ثم مدح جل وعلا أهل القرآن والصلاة والصدقة فقال: إن الذين يقرؤون القرآن، ويعملون بما فيه، ويمتثلون أمره، ويجتنبون نهيَه، وصدقوا إيمانهم بأن أقاموا الصلاة وداوموا عليها بأركانها وواجباتها ومستحباتها، وتصدقوا من أموالهم التي أعطاهم الله إياها في السر وفي العلن؛ فمن كانت هذه صفاتهم؛ فأولئك يرجون وينتظرون تجارةً رابحةً لا خسارة فيها ولا هلاك.

[٣٠] وهؤلاء فعلوا ما فعلوا من هذه الأعمال ليوفيهم اللهُ الكريمُ أجورَ أعمالهم كاملةً موفورةً غير منقوصة؛ بل يزيدهم الله في الثواب زيادة عن أجورهم، تكرما من وتفضّلًا، إنه سبحانه كثير المغفرة لمن استغفر وتاب، وهو سبحانه شَكُورٌ لطاعة عباده مع غناه عنها سبحانه وتعالىٰ.

وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَۖ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُمۡ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨

[٣١] يخبر جل وعلا نبيه ﷺ أن هذا القرآن الذي أنزله الله إليك هو الحقُّ الذي لا شك في أنه من عند الله، وهو مصدّقٌ وموافقٌ لما تقدمه من الكتب السابقة المنزلة من عند الله، ثم بين سبحانه أنه بعباده لخبيرٌ، وأنه بصيرٌ بهم وبنياتهم وأقوالهم وأعمالهم، وسيجازيهم على جميع أعمالهم.

[٣٢] ثم أخبر جل في علاه أن هذا القرآن الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ ميراثًا منه ﷺ لأمته التي اصطفاها من بين سائر الأمم، ثم بين سبحانه أن تمسك الناس بهذا القرآن على ثلاثة أقسام:

الأول: الظالم لنفسه: وهو المقتصر على القيام ببعض التكاليف، وقد خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، وزادت سيئاته على حسناته.

والثاني: المقتصد: وهو الذي يعمل بالكتاب والسنة، ولا يسلم من الأخطاء، وقد تساوت حسناته مع سيئاته.

والثالث: السابق بالخيرات: وهو المتقدم على غيره، المحرز للفضل، المُطَبِّقُ للتعاليم الربانية، وقد زادت حسناته على سيئاته.

واعلموا أيها الناس أن ذلك الإعطاء للقرآن واصطفاء هذه الأمة على سائر الأمم هو الفضل الكبير.

وبدأ سبحانه في هذه الآية بالظالم لنفسه قالوا: لكثرة الجهال والفساق.

قال جعفر الصادق: (بدأ بالظالم إخبارًا أنه لا يتقرب إليه إلا بكرمه، وأن الظلم لا يؤثر في الاصطفاء)[1]. وقال أبو الليث: (بدأ بالظالم لكي لا يعجب السابق بنفسه، ولكي لا ييأس الظالم من رحمة الله)[2]. وليس المقصود بالظالم هنا: المشرك؛ لأن المشرك ظلمه عظيم مخرج من الملة، أما هذا فأمره إلى الله، إن شاء غفر له، وإن شاء طهره بالنار ثم أخرجه إلى الجنة.

[٣٣] ثم أخبر جل وعلا أن أصحاب هذه الأقسام: الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات؛ لهم جنات إقامة دائمةٍ يُدخلهم الله فيها، لا يخرجون منها أبدًا، يلبسون فيها الحلي والأساور على أيديهم من الذهب واللؤلؤ، ويلبسون على أجسادهم الحرير من سندس وإستبرق أخضر، كل ذلك بفضل الله ورحمته، وربما كان دخول العصاة للجنة بعد التطهير؛ إن لم يكن قد شملهم الله برحمته عند الحساب.

[٣٤] ثم يقول هؤلاء الفائزون بعد دخولهم الجنات: الحمد الله الذي أذهب عنا كل ما يحزننا من أمور الدنيا والآخرة، إن ربنا بفضله وكرمه لواسع المغفرة؛ حيث غفر لنا زلاتنا، وقبل منا حسناتنا وضاعفها لنا.

[٣٥] ويقولون أيضًا: والحمد لله الذي أنزلنا دار الجنة من فضله وكرمه لا يصيبنا فيها تعب ولا مشقة ولا فتور.

والفرق بين النصب واللغوب، أن النصب: هو المشقة والكلفة، أما اللغوب: فهو الفتور فقط.

[٣٦] وأما أولئك الذين كفروا، فقد أعدَّ الله لهم نار جهنم، يعذبون فيها عذابًا شديدًا لا ينتهي، وهم في هذا العذاب، لا يقضي الله عليهم بالموت، فيستريحوا من العذاب، ولا يخفف الله عنهم شدة عذاب وحر جهنم، وهذا الجزاء جعله الله جزاءً لكل مبالغٍ في الكفر، مكذب بالله ورسله.

[٣٧] وهؤلاء الكفار وهم في النار يصرخون صراخًا شديدًا، ويستغيثون ويصيحون قائلين: ربنا أخرجنا من النار، وأرجعنا للدنيا؛ نؤمن بك ونوحدك، ونعمل الأعمال الصالحة، فيجيبهم الله جل في علاه موبّخًا ومبكتًا إياهم: أولم نعمركم في الحياة الدنيا عمْرًا يستطيع من أراد التذكر أن يعمل، وأنْ يستزيد من الصالحات؟! وقد جاءتكم رسلنا ينذرونكم ويحذرونكم هذا المصير؛ فكذبتموهم ولم تطيعوهم؟! فامكثوا في نار جهنم تقاسون حرَّها، وتذوقون عذابها، واعلموا أنه ليس للظالمين المتجاوزين حدودهم بالشرك والتكذيب من نصيرٍ ينصرهم، ويدفع عنهم ما هم فيه.

[٣٨] ثم يخبر جل وعلا أنه عالمٌ بكل أمرٍ خفيٍّ في السماوات والأرض، وأنه سبحانه عليمٌ بما في صدور العباد ونياتهم.

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٦/ ٢٢٤)، وابن عادل في تفسير الألباب (١٦/ ١٣٩).

(٢) ذكره الشنقيطي في العذب النمير (٢/ ٣٧) ولم ينسبه.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا
يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ
كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ
بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ
نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ
مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ
وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ
ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا
﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

[٣٩] واعلموا أيها الناس أن الله هو الذي جعلكم مستخلفين تخلفون من سبقكم من الأمم، أي: يخلف بعضكم بعضًا لعبادة الله، وعمارة الأرض، واستخراج معادنها وثمارها؛ لتشكروه جل وعلا علىٰ نعمه، وتعملوا فيها بطاعته؛ فمن جحد وكفر بالله وكفر بنعمه فإن وبال كفره سوف يرجع عليه، ولا يضر الله شيئًا، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بغضًا وغضبًا شديدًا، ولا يزيدهم إصراهم علىٰ كفرهم إلا ضلالًا وهلاكًا في الدنيا والآخرة.

[٤٠] وقل يانبي الله لهؤلاء المشركين: أخبروني عن هؤلاء الذين تعبدونهم من دون الله، وأروني أي شيء خلقوه في الأرض وأوجدوه من العدم؟! أم أن هذه الآلهة المزعومة قد شاركت في خلق السماوات؟! أم أعطينا هؤلاء المشركين كتابًا فيه ما يوافق أهواءهم، ويدعم شركهم، فهم يقرؤون منه ويحتجون بما فيه؟! بل ما يعد الكافرون بعضهم بعضًا إلا غرورًا وخداعًا.

[٤١] يخبر جل وعلا أن من مظاهر قدرته وحكمته أنه يمسك السماوات والأرض أن تزولا عن مكانهما، ولئن زالتا - علىٰ سبيل الفرض - فلن يستطيع أحد كائنًا من كان أن يمسكهما غيره جل في علاه، إنه سبحانه كان حليمًا بعباده، غفورًا لمن تاب وأناب ورجع إليه.

[٤٢] وأقسم كفار قريش بأيمان مغلظة قائلين: لئن جاءنا رسول من عند الله يبين لنا الإيمان بالله، ويدعونا إلىٰ التوحيد، ويخوفنا من عقاب الله وغضبه علىٰ الكافرين؛ لنكونن أكثر هداية واتباعًا للحق من اليهود والنصارىٰ وغيرهم، فلما جاءهم محمد ﷺ وهو أفضل الرسل رفضوه وكذبوه ولم يؤمنوا به؛ بل ازدادوا بُعْدًا ونفورًا عن الحق.

[٤٣] ثم بين جل وعلا أن إقسامهم لم يكن لقَصْد حسن، وإنما كان استكبارًا علىٰ الخلق، ومن أجل المكر السيِّئ والخداع والباطل؛ فعليهم أن يعلموا أن المكر السيِّئ لا يحيق إلا بأهله الماكرين، فهل ينتظر المستكبرون الماكرون إلا العذاب الذي نزل بأمثالهم الذين سبقوهم؟، ولن تجد لسنة الله وطريقته في خلقه تبديلًا ولا تحويلًا عما سارت عليه.

[٤٤] ثم بين جل وعلا ما يدل علىٰ أن سنته لا تتغير لا تتبدل ولا تتحول، فقال: أولم يسِرْ قومك يامحمد في الأرض بعقولهم وأبدانهم، وينظروا ويتفكروا في حال الأمم السابقة وما حلَّ بهم؟ وكيف كانت نهايتهم لما كذبوا الرسل؟!، وقد كانوا أشد من أهل مكة قوةً، وأموالًا وأولادًا، وكانوا أقدر منهم علىٰ إعمار الأرض؟!، وما كان ليسبق الله أو يفوته شيء من الأشياء في السماوات ولا في الأرض، إنه سبحانه كان عليمًا بالعباد وأحوالهم، ونياتهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وهو سبحانه قديرٌ علىٰ إهلاك من كفر به وجحد رسله، وهو سبحانه علىٰ كل شيء قدير.